

المثاقفة وإشكاليات تلقي المناهج النقدية المعاصرة في المنجز النقدي العربي

Intellectuels et les problèmes de réception les méthodes critiques contemporaines dans la réalisation critique arabe

دوالي بلخير*

كلية الآداب واللغات بجامعة المدينة

البريد الإلكتروني: **douali_b@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/10/05

تاريخ القبول: 2024/01/06

تاريخ النشر: 2025/09/16

ملخص:

تحاول هذه القراءة تتبع تأثير المثاقفة النقدية في تأسيس عدد من المشاكل المعرفية التي ميزت الممارسة النقدية العربية المعاصرة، بداية بتتبع إشكالية غياب الوعي الفكري بخصوصية الثقافة الغربية وخلفيتها الحضارية وانعكاسه على إهمال خلفيات المناهج في الخطاب النقدي العربي، ومنه معاينة إشكالية التأصيل المنهجي القادر على تحقيق تصور نقدي عربي يستطيع استنطاق الخطاب الأدبي، فدراسة إشكالية توطين المنهج بخلفياته وأدواته، تتجاوز قضية الانسجام المعرفي بين التنظير والتطبيق.

يعد سؤال المنهج وثنائية المفاهيم والمصطلحات أيضا من القضايا الإشكالية التي ساهمت في تشكيل تراكم نقدي عربي يفترق إلى الوعي النظري بأبعاده المنهجية، وهو الاضطراب النقدي الذي كرسه من جانب آخر إشكالية الترجمة وقضاياها، لتكون خاتمة هذه الدراسة تقديم رؤية معرفية لها أهميتها في تجاوز مجمل القضايا الإشكالية التي يعاني منها المنجز النقدي العربي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: المثاقفة. إشكاليات. التلقي. المناهج النقدية المعاصرة. المنجز النقدي العربي.

Résumé :

Cette lecture tente de retracer l'influence de la culture dans l'établissement d'un certain nombre de problèmes épistémiques qui ont caractérisé la pratique critique arabe contemporaine, en commençant par suivre le problème du manque de conscience intellectuelle de la spécificité de la culture occidentale et de son contexte culturel et sa réflexion sur la négligence des antécédents curriculaires dans le discours critique arabe, et à partir de là un examen du problème de l'enracinement systématique capable de parvenir à une perception critique. Un arabe peut remettre en question le discours littéraire, étudier une localisation problématique du curriculum avec ses origines et ses outils, en contournant la question de l'harmonie cognitive entre la théorie et la pratique.

La question du curriculum et du dualisme des concepts et des termes est également l'une des questions problématiques qui ont contribué à former une accumulation monétaire arabe qui n'a pas conscience théorique de ses dimensions méthodologiques, et c'est la tourmente critique que j'ai consacrée d'autre part au problème de la traduction et de ses problèmes, de sorte que la conclusion de cette étude est de fournir une vision cognitive qui a de l'importance pour transcender l'ensemble de la question problématique. Que la réalisation monétaire arabe contemporaine en souffre.

Mots clés:

Intellectuels. Problèmes. Recevez. Programmes d'études critiques contemporains. La réalisation monétaire arabe.

*دوالي بلخير

1. مقدمة:

لقد أدت الثورة المعرفية التي شهدتها النقد الأدبي العربي المعاصر والتي عبرت عنها منظومة مناهجه المختلفة السياقية والنصية والتفاعلية، وعكستها أيضا توجهاته المعرفية والمنهجية، في تأكيد أهمية المثاقفة مع المنجز النقدي الغربي في تحقيق هذه الثورة النقدية، لكن ما تمت ملاحظته أن هذه العلاقة التفاعلية أدت إلى ظهور عدد من القضايا الإشكالية التي ميزت الخطاب النقدي العربي المعاصر والتي تعود في جوهرها إلى الوعي غير الناضج بالخطاب النقدي الغربي المعاصر، وعليه فقد جاء هذا البحث سعيا للإحاطة قدر الإمكان بطبيعة تشكيل الخطاب النقدي العربي المعاصر، والسعى لإدراك منظومته والتفكير في نشاطه وكشف إشكالاته النقدية، ومن ثمة الخوض في قضايا الخلفيات المعرفية والمنهج والمفاهيم والمصطلحات والأدوات الإجرائية، وإشكاليات الانسجام بين التنظير والتطبيق.

يتضمن هذا المقال إشكالية معرفية تعبر عن تأثير المثاقفة النقدية بين المنجز النقدي العربي المعاصر والأصول النقدية الغربية وما شاب هذه الصلة المعرفية من قضايا إشكالية رسمت خصوصية النقد العربي المعاصر ورسمت تمايزه المعرفي عن النقد الغربي، أما فيما يتعلق بمنهج القراءة وأدواتها التحليلية فتنتقل هذه الدراسة من فكرة تتبع طبيعة الخطاب النقدي العربي من حيث طبيعة الوعي بالخلفيات المعرفية والأدوات الإجرائية وهو ما يفرض تبني تصور منهجي وصفي تحليلي مرتبط بالبعد الاستيمولوجي.

يسعى هذا البحث لتحقيق عدد من الأهداف العلمية كتصورات تجيب عن جملة المتاهات والإشكالات التي عرفها الخطاب النقدي العربي المعاصر، بداية بالسعي لتقديم أهمية المثاقفة في تأسيس الصلة المعرفية بين النقيدين الغربي والعربي وفق مسلك علمي منتج، مع تحديد طبيعة تفاعلها والمسافة التي تربطهما على صعيد الوعي بالخلفيات المعرفية وطبيعة المناهج النقدية المعاصرة بمفاهيمها وآلياتها، ومنه التركيز على أهمية مراجعة التجربة النقدية العربية وإعادة النظر في مرجعياتها المفهومية والمنهجية التي رسمت اشتغالها النقدية، والتفريق بين خصوصيات التصورات الغربية والعربية بناء على اختلاف البيئتين الثقافيتين المؤسستين لهما.

ولتحقيق هذا المبتغى العلمي من أجل الإجابة قدر المستطاع عن هذه التساؤلات وتقديم رؤية تحليلية لجملة أسئلتها وقضاياها تبنت منهجية علمية قائمة على تحديد ماهية المثاقفة وتأثيرها على رسم سمات الخطاب النقدي العربي المعاصر، ومنه معاينة القضايا الإشكالية التي رافقت هذه القضية انسجاما مع طبيعة الوعي الفكري الذي تبناه الناقد العربي المعاصر، وصولا إلى تقديم تصور له قيمته المعرفية وطموحه الفكري في تجاوز تلك القضايا الإشكالية في المنجز النقدي العربي المعاصر.

2: إشكالية المثاقفة وتوطين المنهج النقدي:

شهد الخطاب النقدي العربي المعاصر تحولات معرفية عميقة كشفت أنه عاش حتمية الاستقبال النقدي الغربي الجاهز وتوظيفه وتوظيفاً مطرداً في قراءة النصوص الأدبية العربية، دون استيعاب ناضج للاختلافات الثقافية بين البيئتين الحضريتين، وهو ما ساهم في اتفاق جل المهتمين بالمشهد النقدي العربي المعاصر أنه يعيش مأزقاً على مستوى الوعي المنهجي بكل ما يحمله من خلفيات فكرية وإجرائية، وجعلهم يتفقون أيضاً في الدعوة إلى ضرورة التأصيل المعرفي لهذا الخطاب النقدي إيماناً منهم بأن استيعاب المناهج النقدية لا يقتصر على أدواتها الإجرائية بل يتجاوزها إلى الوعي بالمسافة الفكرية الفاصلة بين البيئتين الثقافتين لأن توظيف " الآليات الإجرائية لتلك المناهج على نصوص عربية لها خصوصيتها الحضارية يؤدي إلى التشويه لتلك النصوص الأدبية وطمس دلالتها واختزالها أحياناً أخرى " ⁽¹⁾ ، وهو ما يفرض معرفياً الوعي النقدي بضرورة ملائمة طبيعة المناهج النقدية الغربية المستحضرة لخصوصيات البيئة الأدبية العربية، لأن تلك المناهج النقدية المتبناة تضر أبعاداً أيديولوجية خفية.

لقد شكلت عملية المثاقفة عنصراً جوهرياً في تكوين الخطاب النقدي العربي المعاصر وفي طرائق تفكيره ومناهجه، لكن ما تمت ملاحظته أن مفهوم المثاقفة النقدية الحاصلة لم تكن إيجابية منتجة، عندما وجد الناقد العربي نفسه منغمساً في عدد من المشاكل الفكرية المتشابكة التي ورثها في صلته بالخطاب النقدي الغربي، بداية بالقطيعة المعرفية مع التراث النقدي العربي ومنه التبعية المطلقة للخطاب النقدي الغربي، فتحول النقد العربي المعاصر إلى نقد مأزوم أصابه العجز عن مواجهة التحديات النقدية المعاصرة، كما انقطعت الصلة بينه وبين الموقف الفكري والحضاري الذي أنتجه، فلم " يتأسس خطاب نقدي عربي يكشف عن وجود قضايا وتصورات منسجمة تشكل خطاباً نقدياً متماسكاً وأصيلاً " ⁽²⁾

لقد ساهم الانفتاح على مشروطات النقد الحديثة التصورات الفكرية والنقدية العربية المعاصرة على المنجز النقدي الغربي دون الوعي بحيثياته المنهجية في التغييب غير الواعي للخلفية المعرفية والثقافية للمنجز النقدي الغربي، مما أدى إلى توظيفه بشكل مشوه أفقده سماته النقدية، وساهم أيضاً في إيجاد قراءة نقدية سطحية حولت المنهج النقدي إلى مجرد أدوات إجرائية معزولة عن مضامينها الثقافية التيتلاءم البيئة الحضارية الغربية، إذا لا يجب أن يغفل القارئ في هذا المقام أن الأدوات الإجرائية تشير إلى المظهر السطحي للمنهج وأن جوهره الأساس هو ربطه بالرؤية الفكرية التي أوجدته والتي بدونها يفقد المنهج النقدي قوته التحليلية، ليتحول إلى جملة خطوات منهجية تسيء للممارسة النقدية وتحرفها عن مسارها ومراميها، كما قد تشوه النصوص الأدبية نفسها فكل منهج يصدر عن رؤية فكرية تؤطره وتحدد خصوصيته.

جعل هذا الإشكال التجربة النقدية العربية المعاصرة تمر بأزمة معرفية لا تنفصل عن أزمة الذات العربية ذاتها التي وقعت تحت سطوة الثقافة الغربية التي سيطرت على حياتنا، بسبب التجاوز الفكري لوجود معطيات تميز هوية كل أمة من الأمم، فالقول " بعدم إقامة الحدود الصارمة بين الثقافات، لا يعني الدعوة

لغياب خصوصيات كل حقل ثقافي على حدة " (3)، كما ساهم هذا الانفتاح أيضا في تكوين هوية نقدية مستقلة لا صلة لها بجذورها النقدية التاريخية من منطلق أن استيعاب التطور الحالي في اتجاهات الفكر النقدي العالمي المعاصر، لا يمكن أن يكون وافيا ودقيقا إلا من خلال منظور تطوري وشامل لتاريخ النقد الأدبي وخلفياته المنهجية الممتدة في الماضي، كما أن حصول هذا الاستيعاب لا يستغني أيضا عن « تتبع الخطوات التي قطعتها النظرية الأدبية، باعتبارها شديدة الارتباط بالتحويلات الحاسمة التي شهدتها مناهج التحليل وممارسات النقد الأدبي على السواء » (4).

لقد ساهمت المثاقفة وفق هذا الوعي الفكري في تأسيس فجوة زمنية بين نشأة المنهج النقدي الغربي وتطبيقه في السياق النقدي العربي، فتلقف الناقد العربي المناهج الغربية التي أخت حضنها الزمني للاكتمال وطبقها بشكل مباشر على النص العربي الذي طوع لمقولاتها دون معاينة لطبيعة التباين الثقافي الحاصل بين البيئتين الأدبيتين المختلفتين، فنشأت فجوة فكرية كنتيجة حتمية لاستعارة المنهج النقدي الغربي من واقعه وزمنه الثقافي إلى الواقع النقدي العربي، لأن المنهج النقدي المستعار يعد طارئا في مدة زمنية وجيزة لا تساوي مدة إنتاجه في بيئته الغربية" (5)، وعليه فقد ساهمت هذه الفجوة الزمنية في عدم قدرة الناقد العربي المعاصر على مواكبة تطورات النقد الغربي، فلجأ إلى الاجتزاء أحيانا والتجريب وغياب الرؤية النقدية المحددة أحيانا أخرى.

في السياق ذاته اتجه النقد العربي المعاصر أثناء الاستفادة من المناهج المعاصرة إلى التطبيقات التجزئية ذات الصبغة البيداغوجية في الوقت الذي كان من الضروري بناء معرفة متكاملة تكون في خدمة الأدب العربي مع الابتعاد عن جعل الأدب مادة توضيحية للتعريف بالنقد المعاصر، " فغلب على الحركة النقدية العربية المعاصرة طابع التعريف والتعليم دون المشاركة الفعلية في إثراء المناهج وجعلها أداة وعي جديدة لفهم الأدب وتحليله " (6)، وتأسس نتيجة لذلك وعي نقدي عربي مغلوط كان يكتفي فيه الناقد في الغالب بأخذ " النتائج والمفاهيم الجاهزة من الثقافة الغربية بأدواتها وآلياتها الإجرائية ويقوم بتطبيقها على النصوص العربية دون السعي لاستيعابها " (7).

وسم هذا الإشكال الثقافي التجربة النقدية العربية المعاصرة بشكل تغيب عنه الرؤية التاريخية التي تفسر الشروط الاجتماعية والثقافية للإبداع الأدبي، وعرض الخلفيات النظرية والآليات المنهجية بشكل مجتزأ لا يعبر عن حالة الوعي المنهجي القائم على تصور فكري واضح، كما ولدت صراعا في الخطاب النقدي العربي بين جدلية تطوير الخطاب النقدي التراثي أو تبني الخطاب النقدي الحداثي الذي يستمد مشروعيته العلمية من المرجع النقدي الغربي " (8).

لا ينبغي أن نأخذ موقفا سلبيا من المثاقفة لأنها شرط رئيس للتفاعل الثقافي والحضاري وإنما يجب أن نستوعبها كإطار تفسيري لفهم أزمة النقد العربي المعاصر بسبب تأثيرها في تكوين هذا الخطاب

النقدي، لكن سبب الانتقاد الحاصل يعود بالأساس إلى الاختلاف الزمني بين الوعيين النقيدين الغربي والعربي وتبعية الحداثة النقدية العربية للمنجز النقدي الغربي، وهو ما يفسر جزء مهما من التفاوت المعرفي بين المناهج الغربية وتطبيقاتها وكيفية تطبيقها في المنجز النقدي العربي.

3 - إشكالية المصطلح والمفهوم النقديين:

تعد ثنائية المصطلح والمفهوم النقديين من مقومات النقد المنهجي الموضوعي لدورها في سلامة القراءة والتحليل، لكنهما تحولاً في الخطاب النقدي العربي المعاصر إلى عقبة إشكالية تواجه التحليل النقدي للأدب، فقد ظلت هذا الإشكالية ملازمة للفكر النقدي العربي المعاصر، بسبب ارتباطها باللغة وشروط البحث فيها وارتباطها أيضاً "بالانفتاح الكبير للدراسات النقدية العربية على نظيرها الغربي" ⁽⁹⁾، لأنه إذ لم يمتلك المصطلح إستراتيجية في تحديد المفهوم النقدي فإن المنهج النقدي سيؤثر من حيث بنيته المفهومية وهو ما يسبب مشاكل معرفية في قراءته للنصوص الأدبية.

لقد ساهم المصطلح النقدي في امتلاك الممارسة النقدية العربية المعاصرة لبعد إشكالي يرجع بالأساس إلى كيفية تلقيه وترجمته والوعي الفكري بخلفياته وأبعاده، فالتعاطي مع المصطلحات النقدية الغربية دون الوعي بأصول المنهج وخلفياته الفكرية والفلسفية جعلها مجرد "أدوات صماء لا تثري معرفتنا بالنص الأدبي ولا تساعدنا على خلق تراكم معرفي يؤهلنا لتطوير طرائق تعاملنا معه" ⁽¹⁰⁾، ومن هذا المنطلق لم يستوعب الناقد العربي المعاصر في تعامله مع قضية المصطلح أن "الحداثة الغربية جاءت نتاج الثقافة الغربية، وأن المصطلح النقدي الحداثي هو إفراز منطقي للفلسفة الغربية" ⁽¹¹⁾، فحينما نقل المصطلح النقدي الجديد إلى المنجز النقدي العربي المعاصر في عزلة عن خلفيته الفكرية والفلسفية تم إفراغه من دلالاته وفقد القدرة على أن يعبر عن مفهومه، لأن "القيم المعرفية القادمة مع المصطلح الغربي تختلف عن القيم المعرفية التي تعبر عن الفكر العربي" ⁽¹²⁾.

قدم المصطلح النقدي الغربي في كثير من الحالات بأكثر من مصطلح خفي لخطاب النقدي العربي، مما أشاع الغموض والتعدد المصطلحي والمفهومي والاضطراب المنهجي بين المشتغلين في حقل الدراسات النقدية والأدبية وخلق صعوبة أمام المتلقي العربي في كشف جواهر النص الأدبي الفنية، فإشكالية التعدد المصطلحي واحدة من إشكاليات النقد العربي المعاصر، التي باتت تشير إلى حجم الأزمة الفكرية التي تخبط فيها الخطاب النقدي العربي تعبيراً عن عجز الناقد العربي عن تحقيق تمايزه المعرفي والمنهجي وتأسيس مشروع نقدي عربي خاص.

لم يقتصر هذا الإشكال النقدي على المصطلح فحسب بل تجاوزه إلى الجهاز المفاهيمي والأدوات الإجرائية، فالفشل في "نقل المصطلح النقدي إلى العربية أدى إلى فشل في فهم دلالاته كذلك، لأن الأزمة أزمة واقعين ثقافيتين وحضارتين مختلفتين" ⁽¹³⁾، كما أن أي "وجهة نظر نقدية لا تتوفر على جهاز مفاهيمي دقيق ودال ستكون فرضياتها ضعيفة وينعكس ذلك على مستوى دقة نتائجها" ⁽¹⁴⁾، فقد ولدت

إشكالية تعدد المصطلحات والمفاهيم في الخطاب النقدي العربي الحديث المعاصر فوضفت لثقل القضايا النقدية من منابتها الأصلية وهو ما نجد ملاحظه في قراءة الناقد (محمد لطفي اليوسفي) لهذه الإشكالية، عندما رأى أن الخطاب النقدي العربي المعاصر في قراءته للنصوص الأدبية يقوم على استقدم المفاهيم والمصطلحات من الثقافة الغربية دون الإحاطة بالنصوص الإبداعية الغربية التيفيذونتها تمكن الناقد الغربي من إنتاج تلك المصطلحات والمفاهيم، وهذا ما جعل الناقد الأدبي العربي لا يتورع عن استعمال تلك المفاهيم والمصطلحات على نصوص عربية بشكل آلي دون مراعاة خصوصية النص الأدبي العربي". (15)

لقد ساهم هذا الإشكال المصطلحي والمفاهيمي في طرح قضية ترجمة المصطلح النقدي ومفهومه مع غياب التنسيق النقدي العربي بشأنهما مما أدى إلى الكثرة الهائلة في عدد هذه المصطلحات واختلاف مفاهيمها في المنجز النقدي العربي لتباين ترجمات المصطلح الأجنبي الواحد وعدم مسايرة الناقد العربي لتطور المصطلح وتغيره في أصله الأجنبي، إضافة إلى استعمال مصطلحات غير مألوقة وغريبة عن السياق الاستعمالي العربي، واتسام هذه المصطلحات في الغالب بالطابع الفردي المغيب للجهود الجماعية، دون تجاوز " الأثر المعرفي الذي يجب أن يستوعب من خلاله أنه لكل لفظ خلفية فكرية بحيثياتها وأشراتها " (16)

4 - إشكالية المنهج:

يعتبر سؤال المنهج من الأسئلة المعقدة في الخطاب النقدي العربي المعاصر خاصة بعد التحولات التي شهدتها النقد العربي في نهاية ستينيات وبداية سبعينيات القرن الماضي، فالمتتبع للساحة النقدية العربية يلمس حجم التراكم المعرفي الحاصل في الكتابات المنجزة حول هذا الموضوع، لكن هذا التراكم النقدي يفتقر إلى الوعي النظري بأبعاده الإشكالية، وهو ما يفسره الاضطراب الكبير في الكتابات النقدية التي تناولت قضية المنهج، وبالتالي تعدد إشكالية المنهج من المسائل الجوهرية التي تأتي في صدارة الطرح للنقد العربي المعاصر باعتبارها مسألة شائكة مرهونة بمحققته الممارسة النقدية في الفترة الزمنية المعاصرة على وجه الخصوص من إنجازات نقدية واسعة، لا سيما في " ظلال إعصار المعرفة الذي يحتاج جميع العلوم والمعارف " (17)، وهي الإشكالية التي تسعى لتطبيق منهج نقدي قادر على استنطاق الخطاب الأدبي وكشف جواهره الإبداعية.

إن فهم مقولة المنهج كوسيلة علمية تستند إلى سلسلة منظمة من الإجراءات قصد الحصول على نتائج تنسجم مع معطياته النظرية، تقوم على الوعي بالخلفية المعرفية لتشكله حتى لا ينظر إليه كآليات إجرائية معزولة عن الخلفيات التي أنتجته. وهو الوعي الذي يؤمن للقرائستيعا بالمتغيرات الحاصلة في الخطاب النقدي استثمارا للإرث الثقافي الذي ساهم في إنتاجه من منطلق أنه " لكل منهج نقدي زمن ثقافي يعطيه موقعه ودوره " (18)،

ساهم الإهمال غير الواعي لخلفيات المنهج في المنجز النقدي العربي المعاصر جعل مسألة المنهج تحمل بعدا إشكاليا ووسم هذا المنجز بخاصية النسبية والاضطراب، كما أفسد خصوصية النص الأدبي المدروس بتحميله من المقولات ما لا يحتمل، خاصة أن عدد من النقاد العرب لم يستوعبوا أن " المنهج النقدي يقوم على بعدين فلسفي وآخر إجرائي " ⁽¹⁹⁾، الأمر الذي جعلهم يعتقدون أن المناهج النقدية لا تعدو أن تكون أدوات إجرائية يتوسل بها لتحليل النصوص الإبداعية متناسين المضامين الثقافية التي تحملها هذه المناهج، غير واعين بأن النقد الأدبي محل وضعين معرفيين متكاملين " وضع ثقافي يرتبط بأبعاده الفكرية والمعرفية، ووضع علمي يتعلق بأدواته الإجرائية التي تكسبه سمته المنهجية والموضوعية " ⁽²⁰⁾، وبالتالي يجب الوعي بأن المنهج النقدي طريقة في التفكير والتحليل تستند إلى منطلقات " فلسفية تحدد جوانبها الإجرائية لقراءة الأدب وليس مجرد خطوات منهجية وآليات تحليلية تساعد الدارسين على التعامل مع القضايا التي يدرسونها، بل هو أساسا تصوير للخلفية الاستيمولوجية المؤطرة لكل منهج نقدي " ⁽²¹⁾

5 - جدلية النص المنهج.

إن إشكالية تطبيق المناهج المستمدة من الخطاب النقدي الغربي في الممارسة النقدية العربية الحديثة والمعاصرة من بين القضايا التي وقفت في وجه قراءة النصوص الأدبية العربية، إذ يرى د: سعيد بقطيئة أنه "منذ بداية احتكاكنا بالغرب على الصعيد الأدبي ونحن نأخذ من النظريات والاتجاهات المختلفة سونتائجها، وما فكرنا قط (...). فياستلها من الروح العلمية التي تشتغل عليها أصحاب تلك النظريات والاتجاهات " ⁽²²⁾، فلا يمكن أن نتصور نقدا أدبيا للنصوص الإبداعية العربية تكون أداها مستمدة من نتائجها مناهج نقدية ملتعبة بالأساس لمقاربة هذا النص الأدبي.

لقد كان لتطبيق المنهج النقدي على النص الأدبي العربي أثر كبير في البعد الإشكالي للنقد العربي المعاصر، خاصة مع خضوع الناقد العربي بشكل شبه تام لسلطة مناهج النقد الأدبي الغربية المعاصرة التي تتضمن في جوهرها الأنساق الحضارية التي نشأت فيها. دون تمحيص تلك الأنساق وتطبيقها على النص العربي في غياب أي رؤية نقدية لإشكالية " الاختلاف الثقافي التي تستدعي وعيا نقديا بهذه المناهج في نسبتها التاريخية " ⁽²³⁾، فالارتكان غير المشروط للمناهج الغربية وإسقاطها بحمولاتها الثقافية على حساب النص الأدبي جعل بعض المشتغلين على النقد الأدبي المعاصر ينظرون إلى النصال الأدبي العربي " كحقل تجريبي لتقدم المناهج النقدية الحديثة، فتحول المنهج النقدي من وسيلة إلغائية في حد ذاتها إلى نصال أدبي علمي بكفايتها الإجرائية " ⁽²⁴⁾ فهذه الإشكالية ليست بالبحث عن خلفيات المناهج المعرفية التي تقوم على سند فلسفي بلاء تكون إجراءاتها قادرا على قراءة النصوص، بل هي التركيز على كيفية تطبيقها على النصوص الإبداعية .

إن إشكالية تحول المنهج النقدي إلى غاية في حد ذاتها في الممارسة النقدية العربية واستنطاق النص الأدبي العربي ما ليس فيه لائمه المنهج ويخدمه، ساهمت في تحول مناهج أغلب الباحثين والنقاد العرب إلى مناهج إما غامضة أو محرفة عن أصولها الغربية، كما أنها

كشفت لالتة، بل تسعلا إيجاد مبررات لأدوات المنهج المتبني فيحدث التنافر بين النصوص المنهجية وتغييب الدلالة وتطمس معالم النص ويسود لغموض والإبهام " (25)، ويؤدي إلى وقوع النصوص الأدبية العربية الموضوعية تحت مجهر هذه المناهج النقدية بسيافاتها ومقاصدها وخلفياتها؛ أزمة قراءة الحقبها تشويها وطمسها لهويتها اللغوية والثقافية، بل وصل الأمر في بعض الحالات إلى " فرض المنهج النقدي المعاصر على الخطاب الأدبي بصفة قصرية غير واعية وهو ما أدى إلى تشويه النص وانحراف الدراسة النقدية " (26)

لقد وجد النقد العربي المعاصر نفسه في وضع إشكالي حينما اعتمد على مرجعيات نقدية غربية استخلصت مبادئها من النص الغربي بخصوصيته الحضارية، ليعاين بها نصوصا عربية تعبر عن بيئة حضارية مغايرة (27)، فأصبحت هذه النصوص ورشة لتجريب تلك المناهج النقدية، الأمر الذي أدى إلى غياب القيمة الحقيقية التي كان يمكن أن تضيفها تلك المناهج للنصوص الأدبية، كما أصبحت الممارسات النقدية في بعض الحالات تصورات نظيرية خالصة لأنها لم تنطلق من النص قصد إستكناه خباياه بل أصبحت تسعى لإيجاد مبررات لأدوات المنهج النقدي الأمر الذي أدى إلى التنافر بين النص والمنهج النقدي واغترابهما، وعليه تستدعي هذه المفارقة الثقافية وعيا منهجيا حذرا في كيفية استعارة المناهج الغربية، لصعوبة الفرز بين المكون المنهجي والمحمول الأيديولوجي المنتج له.

يضع هذا الإشكال الثقافي النقد العربي المعاصر في مواجهة أزمة التعامل النقدي مع المنهج الأجنبي، وهي الأزمة التي يمكن تجاوزها بفهم المنهج النقدي في شموليته بأدواته الإجرائية ورؤيته المعرفية وخلفيته النظرية المؤطرة وتطبيقها تطبيقا يبتعد عن الآلية مع مراعاة خصوصية النص الأدبي والمنهج النقدي الذي يتعامل معه في سياق الوعي بالبعد الإستمولوجي الذي نشأ فيه كل منهما، فالناقد العربي المعاصر ملزم على امتلاك وعي فكري يقوم على إبداع المنهج النقدي والعمل على تكييفه وفق بيئته الحضارية الجديدة لينسجم مع خصوصية النص المدروس، وهو الوعي الذي ترهن إليه قيمة الممارسة النقدية الفعالة.

6 - إستراتيجية التجاوز :

إن التفكير في الخروج من أزمة النقد العربي المعاصر مرهون بالوعي بالقضايا الإشكالية التي رسمت خصوصيته المشوهة، بداية بضرورة تجاوز الفهم المثالي للمثاقفة وما يتفرع عنها من المسائل المتعلقة بالهوية الثقافية وبقيضية سد النقص المعرفي المثار حول مناهج النقد الغربي، ومنه تمثل مناهج القراءة الغربية تمثلا نقديا يراعي النص المدروس من حيث طبيعته وسيافاتها المميزة له، لأجل بلورة "منهج نقدي له كيانه الثقافي ومرجعية ومقولاته وأجراءاته التيتلا ثم إبداعنا لإبداعا لغير" (28)، ففي ظل غياب الوعي

بالخصائص النوعية للنص الأدبي العربي وسياقه الحضاري يبقى التعامل مع المناهج النقدية الغربية ناقصا، كيفما كانت طبيعتها ودرجة علميتها، بل إنه يظل عنصرا سلبيا في قيام نشاط نقدي جاد" (29). من منطلق أن استحضار المناهج النقدية بخصوصياتها الغربية ومحاولة تبينتها في الخطاب العربي المعاصر من خلال الوقوع تحت سطوة الانبهار والتماهي مع معطياتها الجاهزة سيحول بين الخطاب النقدي العربي المعاصر وبين عملية التأصيل النقدي التراثي ويؤدي أيضا إلى الفشل في فك عقدة التواصل المعرفي وفق المنظور التاريخي، وهو ما "أحال المرجعية العربية المعاصرة لتكون صورة مشوهة عن المرجعية الغربية مشكلا أزمة يعيشها المثقف العربي اليوم كسائر المجالات نتيجة لاعتماده على المرجعيات المستعارة من البيئة الثقافية الغربية" (30).

تستلزم الحداثة النقدية تطوير الخطاب النقدي العربي والوعي بتجديده وفق أسس علمية مضبوطة من خلال "استيعاب للمناهج الغربية وإعادة قراءة الإرث النقدي العربي" (31)، لأن الخطأ الذي وقع فيه الناقد العربي ليس استخدام المناهج الغربية وإنما "طريقة التعامل مع تلك المناهج من خلال الاكتفاء بأخذ المنهج جاهزا بسياقه السوسيو ثقافي دون السعي لإثرائه، إذ ينبغي التعامل مع روح المنهج لا نتائجه" (32)، وعلية فلا بد من مراعاة حدود الانتماء للثوابت المعرفية والخصائص الثقافية لصعوبة فصل المنهج عن سياقه الثقافي الذي أنتجه، مع التأكيد على ضرورة الاستفادة من التطور المنهجي لأجنبي، ولا يتحقق هذا المبتغى الفكري إلا بامتلاك وعي علمي مؤطر لعملية الانفتاح والتفاعل مع فكر الآخر، بالتأسيس لمنهج نقدي يتفصّل الملامسات الفكرية والسياقات الحضارية لمنجزاتها النقدية ويساير في الوقت نفسه خصوصية الإبداع الأدبي العربي. ومنه فلكي يتعد الخطاب النقدي العربي المعاصر عن تكوين هوية نقدية مستقلة يجب مراعاة صلته بخصوصيته الثقافية والفكرية، فالتطور خارج مقومات الذات العربية لا يخدم خصوصية التجربة النقدية المعاصرة، لأننا بحاجة إلى "حادثة حقيقية تمزّج الجمود وتدّمّر التخلف وتحقّق الاستنارة، لكنّها يجب أن تكون حداثتنا نحن، وليست نسخة شائئة من الحداثة الغربية." (33)

إن نجاح التجربة النقدية العربية المعاصرة يحتاج إلى رؤية نقدية عربية منبثقة من رحم الثقافة العربية تقوم على الوعي بالمرورث النقدي العربي واستلهام ما يساعد منه على شق طريق النقد المعاصر، وهو ما يتحقق من خلال « ربط العقل العربي بالثقافة التي أنتجته مع النظر إليه كفاعلية منتجة تشكل القاعدة الاستمولوجية لتلك الثقافة ونظامها المعرفي. » (34)، ويحتاج أيضا إلى الاستفادة النقدية من الآخر باعتبارها سمة حتمية في التجارب الفكرية الإنسانية لأن « عمليات التأثير الثقافي واللغوي المتبادلة بين الثقافات واللغات مثلت وتمثّل ظاهرة إنسانية كبرى تجلّت وتجلّى في حلقات الثقافات الإنسانية » (35)، لكن من الضروري معرفة خصوصية الذات العربية بكل ميزات الحضارية والثقافية حتى يتسنى للناقد الأدبي التعامل مع مقولات الآخر تعاملًا نقديًا يقوم على تكثيف الجهود من أجل تقديم المقولات النقدية الغربية وعرضها

للقارئ العربي بصورة مفهومة، وهو ما يتحقق " بتكليف قيم الذات / الآخر، واستنباتها في حقل سوسيو - ثقافي مغاير⁽³⁶⁾ يتوافق مع خصوصيات الذات العربية وفق سماتها الإبداعية وبيئتها الثقافية.

7. خاتمة:

لقد كان السؤال الذي حرك هذا المقال البحثي هو تأثير المثاقفة من الخطاب النقدي الغربي في رسم البعد الإشكالي في المنجز النقدي العربي المعاصر ، وما تفرع عنه من قضايا تساؤلية مثل مسألة الوعي بالثقافة الغربية ومشروعية تبني المنهج النقدي الغربي بشكل آلي دون الأخذ بالحسبان بنية الثقافة العربية وخصوصية النص الأدبي العربي الناتج عنها وما يسند توجهنا هذا أن الخطاب النقدي العربي قد تمثل الخطاب الغربي، والاعتماد على الإطار المنهجي المستعار ومنظومة مصطلحية ومنهجية وخلفيات معرفية غريبة عن المناخ الثقافي العربي، لتكون التطورات اللاحقة لهذه القضية الفكرية نتيجة حتمية لهذه العلاقة المعرفية المشوهة، التي أفضت بالنقد العربي المعاصر ليمتلك خصوصيته وفق طبيعة الوعي بالمثاقفة النقدية في المنجز النقدي المعاصر

غير أن النظر إلى أسس هذا النقد الأدبي وفق تصور معرفي منتج دعانا لاقتراح عدد من الخطوات والآليات التي تسعفنا إلى حد ما من تجاوز الطبيعة الإشكالية للنقد وتقديم تصور نقدي عربي معاصر يعبر عن خصوصية الثقافة العربية بكل مكوناتها، إذ يجب التركيز على الاستفادة من المثاقفة النقدية لإثراء المنجز النقدي العربي بطريقه علمية تجعل من هذا النقد بعيدا كل البعد عن التبعية المطلقة فكريا وإجرائيا ، فتطور النقد العربي المعاصر مرهون بالحفاظ على ملامحه المميزة وتصوره المخصوص والعمل على الانسجام بين الخلفيات المعرفية والأسس المنهجية، ومنه أيضا السعي لتطبيق المنهج النقدي على خصوصية النص الإبداعي العربي، من دون أي إقحام للمنهج على النص فيصبح المنهج في خدمة النص وليس العكس. إن الحاجة لتطوير النقد العربي المعاصر وتطوير آليات اشتغاله تبقى مستمرة ليتأقلم مع الطبيعة الثقافية المعاصرة المتجددة باستمرار، وهو ما يفرض معرفيا ضرورة تطوير منهج نقد النقد لأهميته المعرفية في كشف متاهات النقد الأدبي وتصحيحها بما ينسجم مع المرجعيات المعرفية و طبيعة المنهج والانسجام بين التنظير والتطبيق.

8. قائمة المراجع:

أولا: الكتب:

(1) - حميد حمداني: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ط3، المغرب 2012.

- (2) - سعيد يقطين، الأدب والمؤسسة والسلطة (نحو ممارسة أدبية جديدة)، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، 2002.
 - (3) - عباس الجراري، خطاب المنهج، منشورات النادي الجراي، المغرب، ط2، 1995 .
 - (4) - عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.
 - (5) - عبد الغنيبارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، الهيئة المصرية للكتاب، 2005،
 - (6) - محمد الدغمومي، نقد الرواية والقصة القصيرة بالمغرب، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، المغرب، 2006
 - (7) - محمد عزام، تحليل الخطاب الروائي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1996.
 - (8) - مولا يوخاتم :الدرس السيميائي المغربي :دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذج جيعبد الملكمرتاض و محمد مفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005 .
 - (9) -نصر حامد أبو زيد: مفهوم النصّ - المركز الثقافي العربي - ط. أولى - بيروت - 2014.
- ثانيا: المجالات:

- مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع14، جامعة سكيكدة، 2017،
- مجلة جامعة الأقصى فلسطين، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، 2010
- مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة معسكر، ع07، جوان 2017،
- مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي جدة السعودية الأعداد:
- ج38 م 10، 2000
- ع56 م 14، 2005
- ع57 م 14، 2005
- مجلة عالم الفكر الكويت
- المجلد 23، العددان 1 و 2، 1994
- ع2 م 31، 2002
- العدد 1- المجلد 36- الكويت 2007
- العدد 169، 2016
- مجلة عالم المعرفة
- ع.232- الكويت 1998

ثالثا: الرسائل الجامعية:

- بلعقاق لخضر، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، أطروحة دكتوراه بجامعة الجلفة، 2018/2019،

رابعا: الملتقيات:

- بوشعيب الساوري، إشكالية الانتقال من المفهوم إلى المصطلح، منشورات الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي جامعة ورقلة، 2011 .

9. الهوامش:

1- عبد الغنيبارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، الهيئة المصرية للكتاب، 2005، ص 134

2- خالد سليكي، النقد العربي والحداثة (بنية التجريب في الخطاب النقدي العربي)، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع2 م 31، 2002، ص 245

3- حميد لحداني: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ط3، المغرب 2012- ص 4

4- المرجع نفسه، ص 3

5- محمد عزام، تحليل الخطاب الروائي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1996. ص 32

6- حميد لحداني: النقد الأدبي في المغرب رؤية تحليلية، علامات في النقد ج38، م 10، السعودية 2000، ص 126

7- خالد سليكي، النقد العربي والحداثة (بنية التجريب في الخطاب النقدي العربي)، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع2 م 31، 2002 ص 259

8- محمد الدغمومي، نقد الرواية والقصة القصيرة بالمغرب، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، 2006 المغرب ص 15

9 - بوشعيب الساوري، إشكالية الانتقال من المفهوم إلى المصطلح، منشورات الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي جامعة ورقلة، 2011، ص 16- 17

10- مريم شويشي، البنيوية التكوينية وإشكالية المنهج في المنجز النقدي الجزائري المعاصر، مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة معسكر، ع07، جوان 2017، ص 181.

11- عبد العزيز حمودة: المرايا لمحدّبة: من البنيوية إلى التفكيك - سلسلة عالم المعرفة - ع. 232- الكويت 1998- ص 8

12- المرجع نفسه، ص 63.

13- المرجع نفسه، ص 28

- 14- محمد بوعزة، (نقد النقد جدلية النظرية والممارسة، ، مجلة عالم الفكر الكويت ، ع169، 2016، ص128
15. محمد لطفي اليوسفي ، قراءة في المصطلح النقدي، مجلة جامعة الأقصى فلسطين، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، 2010، ص 44 - 45
- 16- عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ص10
- 17 - مولا يوخاتم :الدرس السيميائي المغاربي :دراسة وصفية نقدية لإحصائية في نموذ جي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص 63
- 18- عبد العاطي الزباني، محمد الدغمومي، نقد النقد وأبعاد التنظير مجلة علامات في النقد ع56، ص132.
- 19- عباس الجراري، خطاب المنهج، منشورات النادي الجزائري، المغرب، ط2، 1995، ص40-41
- 20 - عبد العاطي الزباني، نقد النقد و أبعاد التنظير النقدي ، مقال بمجلة " علامات في النقد" النادي الأدبي الثقافي جدة السعودية 2005، ص 126
- 21 - عبد العالي بوطيب، إشكالية المنهج في الخطاب النقدي العربي، مجلة عالم الفكر الكويت، المجلد 23، العددان 1 و 2، 1994، ص457
- 22- سعيد يقطين، الأدب والمؤسسة والسلطة، ص69.
- 23- محمد بوعزة، (نقد النقد جدلية النظرية والممارسة، ، مجلة عالم الفكر الكويت ، ع169، 2016، ص126.
- 24- عبد الغنيبارة،، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب بالنقد بالعرب المعاصر، ص134
- 25- المرجع نفسه، ص134/135
- 26- عامر رضا، المناهج النقدية المعاصرة ومشكلاتها، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع14، 2017، جامعة سكيكدة. ص130
- 27- محمد بوعزة، (نقد النقد جدلية النظرية والممارسة، ، مجلة عالم الفكر الكويت ، ع169، 2016، ص128.
- 28- بلعقاق لخضر، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، أطروحة دكتوراه بجامعة الجلفة، 2018/2019، ص230
- 29- خالد سليكي، النقد العربي والحداثة (بنية التجريب في الخطاب النقدي العربي)، ص260
- 30 - زرقاوي عمر، نحو تأصيل لمنهج النقد الثقافي، مجلة علامات في النقد ، ج 57 ع 14، ص237
- 31 - خالد سليكي، النقد العربي والحداثة (بنية التجريب في الخطاب النقدي العربي)، ص262

- 32- المرجع نفسه، ص 260
- 33- عبد العزيز حمودة: المرايا المحدّبة: من البنيوية إلى التفكيك، ص 11
- 34- نصر حامد أبو زيد: مفهوم النصّ - المركز الثقافي العربي - ط. أولى - بيروت - 2014 - ص 75.
- 35- زياد الزعبي: من الصفر إلى الشيفرة: المثاقفة وتحولات المصطلح النقدي - عالم الفكر - العدد 1 - المجلد 36 - الكويت 2007 - ص 255
- 36- أحمد اليابوري النقد العربي المعاصر: أوهام الحدود وحدود الأوهام، مجلة الوحدة س 5 ع 49 أكتوبر 1988 ص 15